

تأثير القسم المدرسي على التفاعل الصفي (دراسة ميدانية)

The effect of the classroom on classroom interaction (field study)

سوالمية نورية¹ ♦ ، ميموني شهرزاد²

جامعة معسكر ، n.soualmia@univ-mascara.dz¹

جامعة معسكر ، c.mimouni@univ-mascara.dz²

تاريخ الإرسال: 2024 / 09 / 15 ؛ تاريخ القبول: 2024 / 09 / 30 ؛ تاريخ النشر: 2024 / 12 / 01

الملخص باللغة العربية:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة العلاقة بين القسم كفضاء مدرسي والتفاعل الصفي ، فالقسم بكل مميزاته وخصائصه ومكوناته وما يحتويه من أشياء وعناصر ووضعية اجتماعية يؤثر على التفاعل والتواصل الصفي بين أطراف العملية التعليمية من معلمين ومتعلمين ووسائل تعليمية وغيرها. ومن أجل الوقوف عند العلاقة بين البيئة الفيزيائية والعلاقات التفاعلية داخل القسم وفهم حيثيات الموضوع وأبعاده تم الاعتماد على المنهج الكيفي واستخدام تقنية المقابلة نصف الموجهة مع خمسة وعشرين 25 أستاذ للتعليم الابتدائي بمدينة معسكر (الجمهورية الجزائرية)، ينقسمون إلى 7 ذكور و18 إناث كعينة للدراسة لنقل تمثلاتهم وممارساتهم حول الموضوع المدروس.

توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن القسم ليس مجال جامد بل بعد فضاء اجتماعي يسمح بخلق التفاعلات الاجتماعية داخله والتي تساعد على التكامل المعرفي والتحصيل الدراسي ، هو نظام ثقافي واجتماعي قائم على مجموعة من العلامات والدلالات ، ويقوم بمجموعة من الوظائف؛ حيث أن القسم لا يتحدد من خلال وجوده المادي فقط ، بل أيضا من خلال الإحساس والشعور والانطباع لمستعمليه تجاهه. وعليه من الضروري الاهتمام بالتصميم الداخلي للقسم مع أخذ بعين الاعتبار الأهداف والغايات

♦ سوالمية نورية

التربوية التعليمية والنواحي الفنية الجمالية وتسخير كل ركن فيه من أجل تأدية الوظائف المنوطة له وممارسة الأنشطة التي وجد لأجلها بكل أريحية، وأيضا الاهتمام بالوسائل التحفيزية التي تشد انتباه وتركيز التلميذ وتشعره بالانتماء للفضاء المدرسي.

الكلمات المفتاحية:

القسم المدرسي ؛ الفضاء الاجتماعي ؛ التصميم الداخلي ؛ التفاعل الصفي.

Abstract: This research aims to know the impact of the classroom on social interaction. The classroom, with all its characteristics and components, including objects, elements, and social situations, affects classroom interaction and communication between actors in the educational process. In order to determine the relationship between the physical environment and interactive relationships within the classroom, we relied on the qualitative approach and used semi-directed interviews with 25 primary education teachers in Mascara (Republic of Algeria).

This study reached a set of results, the most important of which are: The classroom is a social space that allows the creation of social interactions within it that contribute to cognitive integration and school achievement. It is a cultural and social system based on a set of signs and connotations and performs a set of functions. Therefore, it is necessary to pay attention to the interior design of the classroom, taking into account the educational goals and objectives, aesthetic and artistic aspects, and exploit every corner of it to accomplish the tasks assigned to it and practice the activities for which it was created. Paying attention to means of motivation that attract the student's attention and focus and make him feel a sense of belonging to the school space.

Keywords: Classroom ; social space; Design d'intérieur; Class interaction.

مقدمة:

يعتبر القسم المدرسي فضاء للتعليم والتعلّم، فهو المكان أو المجال أو الحيز الذي يدور حوله التفاعل الصفّي، داخل القسم تنسج العلاقات بين المعلم والمتعلمين وأيضاً بين المتعلمين أنفسهم؛ إذ لا يمكننا التكلم عن التفاعل الصفّي في غياب العلاقات الاجتماعية.

إن التفاعل هو محور العلاقات الاجتماعية يمكن الإنسان من التواصل مع الآخرين، ويعني الأخذ والعطاء أو تأثير متبادل بين فردين أو أكثر؛ بحيث يتعين عن كل فرد أن يضع الآخرين في اعتباره وتقديره عند قيامه بفعله. فهو عملية تشكّل مستمر وليست استجابة لمعايير وقواعد يحكمها الفاعلون وتملي عليهم سلوكهم ومواقفهم، وهو لا يتم من خلال اللغة والخطاب فقط، بل يتعلق كذلك برمزية الحركات الجسدية المرافقة للكلام أو بدونه. يعبر التفاعل الصفّي عن تلك العلاقة التفاعلية التي تحدث في حجرة الصف بين المعلم والمتعلمين، وتندرج ضمنها أساليب وتقنيات ومهارات يوظفها المعلم أثناء قيامه بالعملية التعليمية في مختلف الوضعيات والمواقف التعلّمية.

إن القسم المجال الذي لا يمكن أن يدرس بمعزل عن البنية الاجتماعية، بمعنى أننا لا يمكن النظر إلى القسم على أنه إنتاج مادي بمعزل عن العناصر الاجتماعية والمعنوية التي تدخل في تكوينه، فهذه العناصر مجتمعة تشكّل لنا فضاء القسم. ومنه القسم ظاهرة اجتماعية كلية تضم مختلف العناصر، والعلاقات، البيئة، وضعية الكائنات وحريتهم، ممارساتهم اليومية وعاداتهم وغيرها، وفي هذا الإطار يعتبر حجيج (Hadjidj, D, 2002 : 237- 243) تنظيم الفضاء ظاهرة اجتماعية لا يمكن التقرب منها وفهمها إلا بالرجوع المباشر إلى الظواهر الاجتماعية الأخرى؛ إذ أن دراسة الفضاء معناه إبراز التفاعلات القائمة بين الفضاء والمجتمع.

إذن القسم هو إنتاج جماعي وجزء من الحياة الاجتماعية وهو يتجلى كنموذج إبراز أو تعبير عن المجتمع و"العلاقة بالفضاء تحافظ على خصوصية الهويات" (Bonte P.- Izard M., 1991 :235)، مما يظهر أهمية ودور الممارسات الاجتماعية داخله، وإن دراسة فضاء القسم "الذي يحمل علاقة الإنتاج وإعادة الإنتاج الاجتماعي سواء تعلق الأمر في ذلك بالجوانب البيوفيزيولوجية التي تنظم علاقة الجنسين (...) أو علاقات الإنتاج وإعادة الإنتاج المتعلقة بتقسيمات العمل وتنظيماته فهو إذن ذو وظائف اجتماعية مترابطة" (Lefebvre H., 2000 :41)، فما يحمله من عناصر وعلاقات ووضعيّات وممارسات تشرح هذه العلاقات ووظائفها.

إنّ للبيئة التعليمية دور مهم في تحقيق أهداف التعليم -إلى جانب المنهج والمعلم وطرق التدريس التي تعمل على تفعيل دور المتعلم وتجعله في قلب العملية التعليمية؛ إذ أنّ التعلّم خاصة مرتبط بخصائص البيئات التعلّمية.

وعليه، يساعد القسم وما يحتويه من مكونات وعناصر وأشياء وعلاقات، ووضعية الأفراد وحيثيتهم وممارساتهم في العملية التعليمية التعلّمية وبالتالي يساهم في عملية التحصيل الدراسي. ومنه، تبحث هذه الدراسة في علاقة بنية القسم وتأثيره على التفاعل الصفي. من هذا المنطلق نطرح مجموعة من التساؤلات، أهمها:

فيما تتمثل العلاقة بين القسم كفضاء مادي والتفاعل الصفي؟

وفيما يتمثل دور القسم البيداغوجي والتفاعلي؟

وانطلقنا من فرضيتين أساسيتين، وهما:

تؤثر مكونات القسم الفيزيائية على التفاعل الصفي

تؤثر مكونات القسم البيداغوجية على التفاعل الصفي

- أهمية وأهداف الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من أهمية الموضوع، فالاهتمام بفضاء القسم وما يحمله من خصوصية يجعله موضوعا هاما للدراسة، باعتبار أن المبنى أو الفضاء أو المجال الهندسي يؤثر في سلوكياتنا والقسم كمبنى مادي يؤثر في العملية التعليمية التعلّمية؛ إذ أن القسم ليس مجرد مكان يجتمع فيه التلاميذ من أجل اكتساب المعرفة، بل هو تكوين معقّد بكل ما يحمله من رموز وأشكال وتمثيلات وممارسات. ويعد القسم بكل مكوناته من مواد تعليمية واتجاهات وتجهيزات ووسائل مادية وغير مادية البنية التحتية للتفاعل الصفي وخلق النشاطات التعليمية التعلّمية.

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى:

- الوصف الدقيق للظاهرة المدروسة والعناصر التي تحركها.
 - التعرف على أهمية التفاعل الصفي وأنماطه
 - معرفة تأثير القسم المدرسي ومكوناته على التفاعل الصفي
 - الوقوف عند العلاقة بين البيئة الفيزيائية والعلاقات التفاعلية داخل القسم
 - تحديد أهمية الصور ومختلف الوسائل والوثائق الداعمة للعملية التعليمية
- نسعى أيضا من خلال هذه الدراسة إلى تبيان دور البيئة المحفزة والدافعة للتعلم من أجل تحقيق مستوى أكبر من التحصيل الدراسي.

1- المفاهيم الإجرائية للدراسة

1.1- القسم المدرسي:

القسم المدرسي هو المجال أو المكان أو الحيز أو المبنى الذي تدور حوله العلاقات الاجتماعية المتعلقة بعملية التعليم والتعلّم، فهو: المكان الذي يحدث فيه نسق من التفاعلات الاجتماعية بين المعلم والمتعلم باستخدام أدوات ومصادر متنوعة في سبيل تحقيق الأهداف التعليمية التعليمية.

إن القسم كـمجال لا يوجد "إلا بما يحويه (...)" فهو بناء منظم بما يتضمنه من: أحداث، وأشخاص، وأفعال، واتصالات، وتعارف، وأشياء... (MOLES A.- ROHMER E., 1998 : 17)

وتنقسم مستويات قراءة مجال القسم إلى ثلاث أقسام (TORTEL, L., 1999 : 10) تتمثل في المستوى الحقيقي، المستوى المتخيل، والمستوى الرمزي: - المستوى الحقيقي: المبين من خلال الخصائص الفيزيائية والمادية للشيء أو المحيط، وما يتضمنه من حقائق موضوعية أو منطقية، يفسر عادة وظيفة ومحددا حسب حاجيات المستعمل لهذا الفضاء من أمن وراحة وغيرها.

- مستوى المتخيل: نقصد به في طرحنا المتخيل الاجتماعي البعيد عما هو مادي فيزيقي والمرتبط بالبعد الإبداعي.

- المستوى الرمزي: يحيل إلى المعاني الخفية والضمنية والتمثيلات، والقيمة الرمزية التي يحملها القسم كفضاء اجتماعي.

2.1- تصميم القسم:

هو القدرة على تهيئة وتجهيز القسم باعتباره المكان أو الحيز لتأدية الوظائف الممنوعة به وممارسة الأنشطة التي وجد لأجلها. يعتبر فن التعامل مع الفراغات الداخلية للقسم بطريقة هادفة تشبع حاجات الأفراد نفعيا وجماليا.

يرتبط تصميم القسم بالأهداف والغايات التربوية التعليمية، كما يرتبط أيضا بالأمور الفنية والمتعلقة خاصة بتناسق الألوان وتوزيع الإضاءة وتنسيق الأثاث والستائر ومختلف التزيين... تجعل العمل والبقاء في القسم أمرا ممكنا يشعر بالراحة والأريحية وينمي الشعور بالانتماء.

3.1- التفاعل الصفّي:

يعرف التفاعل الصفّي على أنه "الميكانيزم الإنساني الذي من خلاله تتواجد العلاقات الإنسانية وتتطور، ويحتوي على جميع رموز الروح ووسائل نقلها عبر الفضاء، والحفاظ عليها عبر الزمن، كما يحتوي تعبير الوجه والاتجاهات، الإشارات، الصوت،

الكلمات، الكتابات وكل شيء حتى الوصول إلى الفضاء والزمن" (MUCCHIELLI Roger, 1980: 33) هذا التعريف ينظر إلى طبيعة عملية التفاعل بوصفه نشاطا إنسانيا فمن خلال عملية الاتصال نستطيع أن نتفاعل مع الآخرين ونتعرف على ذواتنا، وعن طريق الاتصال نبني أطر معرفية مكتسبة تغذي الإطار المجتمعي الأول وتساهم في إثراء الوجود البشري ككل.

ويعرف التفاعل أيضا على أنه نشاط تبادل يكون بين اثنين أو مجموعة وحدات، يبحث عن تغيير السلوكيات عند الفاعلين للتقليص من اختلاف الوحدات عن بعضها البعض، ويعبر عن تلك العلاقة التفاعلية التي تحدث في حجرة الصف بين المعلم والمتعلمين، وتدرج ضمنها أساليب وتقنيات ومهارات يوظفها المعلم أثناء قيامه بالعملية التعليمية في مختلف الوضعيات والمواقف التعليمية. فهو جميع الممارسات اللفظية وغير اللفظية لتبادل الأفكار والمعلومات والمشاعر والانفعالات بين أطراف العملية التعليمية من أجل خلق نوع من التكيف الصفي وممارسة العملية التعليمية بفاعلية.

4.1- أنماط التفاعل الصفي:

يمكن تقسيم أنماط التفاعل الصفي إلى أربعة نماذج، أولها النمط الشائع والذي يتميز باتصال ذو اتجاه واحد، وثانيا النمط الفردي (اتصال ذو اتجاهين)، الثالث نمط ثنائي الاتجاه، والرابع النمط الجماعي متعدد الاتجاهات، كما هو مبين في الشكل رقم 01.

الشكل رقم 01: أنماط التفاعل الصفي



يعرف المعلم في النمط الشائع (اتصال ذو اتجاه واحد) على أنه المصدر الوحيد للمعلومات، والتلميذ عنصر سلبي يردد ويحفظ ما يقدمه المعلم من معارف. هذا النمط التعليمي يؤثر على فاعلية التدريس والإدارة الصفية ويؤدي إلى ضعفها، مع إحباط دافعية التلاميذ وقصور روح المبادرة لديهم.

ويسعى المعلم من خلال النمط الثاني (اتصال ذو اتجاهين) إلى رصد ردود فعل التلاميذ تجاه ما عرضه من أفكار ومعلومات، وبالرغم من أهمية هذا النمط إلا أنه لا يمنح للتلاميذ فرصة للمبادرة وطرح الآراء والأفكار حول فعاليات الدرس.

أما في النمط الثالث (ثنائي الاتجاه) يتفاعل المعلم مع تلاميذه ويمنح للتفاعل في مجموعات، بحيث تكون المجموعة من طالبين يتفاعل كل منهما مع الآخر. تحت إشراف المعلم الذي يتيح للتلاميذ فرص التعلم من بعضهم البعض.

ويسمح النمط الجماعي (متعدد الاتجاهات) بتبادل الخبرات التعليمية بين المعلم والمتعلمين تحت إشراف المعلم، يسمح هذا النمط للمتعلمين بالتعبير عن آرائهم، والتدرب على طرح الأسئلة والأفكار الجديدة ومناقشتها فيما بينهم ومع معلمهم؛ مما يؤدي إلى نمو شخصياتهم. وهذا ما تصبوا إليه المقاربة بالكفاءات المبنية على منطق التعلم المتمركز على نشاطات واستجابات التلميذ الذي يواجه وضعيات إشكالية، فالهم ليس تلقين التلميذ معارف فحسب، بل أيضا الاهتمام باستعمال قدرات التلميذ في وضعيات يومية تنطبق على حياتهم وتساعد على التعلم بأنفسهم. وعليه، ينبغي أن يزود التلميذ بالأدوات الملائمة حتى يتسنى له حل المشكلات مرحلة بمرحلة. تتميز هذه المقاربة عن غيرها بطابعها الإدماجي، وبقدرتها على الربط بين المعرفة من جهة وبين الكفاءات والسلوكيات من جهة أخرى، وبذلك تزول الحدود بين المواد التعليمية، لتساهم كل مادة بقسطها في تطور التلميذ وفي تكوين شخصية سليمة ومستقلة وقادرة على التكوين الذاتي.

إن من أهم السمات التي تطبع بيداغوجية الكفاءات أنها أعادت النظر في مكانة المعلم ودوره وتحديد وظائفه من خلال علاقته بالمتعلم، بحيث يصبحان شريكين، تربطهما علاقة تفاعل ونجاعة، فالمعلم هو الطرف الذي يضع خبراته أمام التلاميذ لاستثمارها في معالجة المشكلات المطروحة عليهم، إذ توكل مقاربة التدريس بالكفاءات للمعلم دور الوسيط بين المتعلمين والمعرفة، بحيث يقدم لهم العون والمساعدة لاستثمار استراتيجي للتعلم (خير الدين هني، 2005: 155-161) يبني المعلم خلال العملية الاتصالية الصفية شبكة علائقية تضمن تحقيق التكيف النفسي والاجتماعي والعلمي للتلميذ، كما أنه مطالب باستخدام بيداغوجيا متنوعة، تتناسب مع كل وضعية تعليمية جديدة.

وفي ظل هذه البيداغوجية يعتبر التلميذ الفاعل الأساسي في التفاعل مع وضعيات التعلم وهو المسؤول الأول عن التكوين الذاتي، إذ يصبح مطالبا بإعادة تنظيم موارده المتنوعة ضمن وضعيات وأنشطة ذات طابع إدماجي، فيقوم بالتنظيم والاكتشاف، وتبادل التجارب والخبرات مع زملائه (خير الدين هني، 2005: 155)، أما المعلم يعد الوسيط والشريك الذي يساعد التلاميذ على التعلم، يستحدث الوضعيات ويشجع التلاميذ على اكتشافها، واكتساب المعارف والمهارات والدراسات... إذن تنتسب المقاربة الحديثة إلى منطق التعلم، وتستند إلى تصورات معرفية وبنوية وتفاعلية.

2- الإجراءات المنهجية للدراسة:

1.2- المنهج وتقنيات البحث:

إن كل دراسة تستوجب منهجا يتلاءم مع طبيعة الموضوع المدروس وصولا إلى الأهداف المسطرة، وتعتبر عملية انتقاء الأسس المنهجية لأي بحث عملية بالغة الأهمية، لأنها تمكن الباحث من معرفة وإدراك ما يسعى إليه. هذا التصور للبحث يستدعي منهجا خاصا وضرورة الاستعانة بتقنيات خاصة على ضوء المقاربة الكيفية التي تبينها في دراستنا هذه.

ولما كانت طبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج المستخدم، فإنه وتبعاً لما تم التطرق إليه فإن المنهج المعتمد في الدراسة هو المنهج الكيفي من أجل فهم حيثيات الموضوع وأبعاده.

وبناء على المنهج المتبع في الدراسة، وفي ضوء متطلبات الدراسة من الناحية الميدانية وأهمية الحصول على البيانات اللازمة، والتي من شأنها أن تساهم في نجاح الدراسة، تم الاعتماد على تقنية المقابلة نصف الموجهة، التي تعتبر أداة اتصال، فهي تلك المحادثة الجادة الموجهة نحو هدف معين، يقوم بها الباحث لاستثارة أنواع معينة من المعلومات لاستغلالها والاستفادة منها. وتعد هذه التقنية سيرورة تفاعل بين الباحث والمبحوث، وتكمن خصوصيتها في الاستماع للمبحوث مباشرة وإعطاء مساحة أكبر للمبحوث للتحدث والكلام، استخدمنا تقنية المقابلة مع أفراد العينة لنقل تمثلاتهم وممارساتهم حول الموضوع المدروس.

2.2- مجتمع وعينة الدراسة:

شمل مجتمع البحث أساتذة التعليم الابتدائي بمدينة معسكر (الجمهورية الجزائرية)، أما عينة الدراسة تم تركيب عينة متنوعة Varié، تمثلت في خمسة وعشرون 25 أستاذ، ينقسمون إلى 7 ذكور و18 إناث، تم اختيارهم حسب وضعياتهم المختلفة

واستعدادهم التعاون معنا وإمدادنا بكل المعلومات والحقائق. والجدول التالي يبين توزيع العينة حسب الجنس والمستويات التعليمية التي يدرسونها.

الجدول رقم 01: توزيع العينة حسب الجنس والمستويات التعليمية

الجنس المستوى التعليمي	ذكور		إناث		المجموع	
	الترار	النسبة المئوية	الترار	النسبة المئوية	الترار	النسبة المئوية
السنة الأولى	-	-	4	%16	4	%16
السنة الثانية	1	%4	2	%8	3	%12
السنة الثالثة	1	%4	3	%12	4	%16
السنة الرابعة	3	%12	4	%16	7	%28
السنة الخامسة	2	%8	5	%20	7	%28
المجموع	7	%28	18	%72	25	%100

3- نتائج الدراسة ومناقشتها:

1.3- حالة القسم وحجمه:

تعتبر حالة القسم مؤشراً مهماً، فإذا كان القسم يعرف تدهوراً في أبنيته سينعكس دون أدنى شك على العملية التعليمية. ويعد حجم القسم أيضاً من العناصر المهمة في عملية التفاعل الصفّي؛ إذ أن اتساع القسم يعمل على تنوع شبكات التواصل داخله وسهولتها، فالقسم الذي يكون عدد تلاميذه قليلاً يكون التفاعل أفضل وأحسن، وتعتبر إشكالية الاكتظاظ داخل الأقسام عقبة تحول دون خلق التفاعل (أنظر الصور الثلاث التالية).

الصورة رقم 3:
اكتظاظ القسم



الصورة رقم 2:
القسم في حالة متدهورة



الصورة رقم 1:
القسم في حالة جيدة



تسمح الأقسام التي يتناسب حجمها مع عدد التلاميذ داخلها بخلق التفاعل الصفي، وخاصة إذا كان القسم صغيراً يحوي عدداً قليلاً من التلاميذ يسمح بالتفاعل الإيجابي مع المادة التعليمية ومع المعلم ومع التلاميذ أنفسهم؛ إذ أن الأقسام الصغيرة كما أشار كل من سميث وغلاس (Smith M., & class, H., 2000 : 492) مرتبطة بمحاولات أكثر من أجل إفرادية التعليم ومن أجل مناخ صفي أفضل يسمح بالمشاركة الجماعية. أما القسم المزدحم يشكل عائقاً يؤثر في نوعية التعلم والتحصيل وفي التفاعل والنظام الصفي والانضباط كما تؤثر في فرص التعلم التي يحصل عليها التلاميذ. وعليه لا بد وأن يسمح محيط القسم بالحركة داخله وللمعلم من تنظيم خبرات التعلم والإشراف على عمل التلاميذ وتوجيههم.

2.3- النظافة ودرجات الحرارة والتهوية:

تعتبر نظافة المكان من العوامل المهمة توفرها داخل القسم الدراسي، إذ تؤثر على راحة التلميذ وحالته النفسية داخل فضاءه التعليمي، تساعد وتحفز على حب البقاء داخل المكان والعمل بجدية ونشاط وعطاء مستمر بدون ملل أو ضجر. ويعبر توفير الحماية من البرد أو الحر والحفاظ على متطلبات الراحة الحرارية داخل القسم عن مدى نجاح وملائمة المكان، كذلك تهوية القسم باستمرار للحصول على بيئة صحية مناسبة. وعليه، لا بد أن تكون مداخل ومخارج القسم ذات أحجام متفاوتة، وأن توضع المداخل منخفضة بينهما تكون المخارج مرتفعة أكبر من المداخل كي تزيد سرعة تدفق الهواء، كما يفضل وضع الشبابيك من جانبي القسم للحصول على تهوية مستمرة للفصول الدراسية، ووضع فتحات عمودية على اتجاه الرياح لتوفير أقصى حد من التهوية والحركة المناسبة لتيار الهواء في الفصل متر في الثانية ولا تزيد عن مترين في الثانية حسب دراسة مايسة عثمان خضر (مايسة عثمان خضر، 2020: 344)

3.3- الإضاءة وتوزيع النوافذ:

تعتبر النوافذ مصدراً للضوء، الذي ينعكس توفره أو عدم توفره على سلوك التلميذ والمعلم على حد سواء، لذا من الضروري أن تراعى طريقة توزيع الإضاءة داخل الأقسام من خلال تمثيل الضوء وعلاقته بمحددات ومحتويات الفضاء الداخلي من جدران وسقوف وأرضيات وأثاث.

وتعد الإضاءة أحد العناصر الأساسية لتهيئة الإطار الصحي والنفسي اللازم للقسم الدراسي، إذ أن التوزيع الجيد للإضاءة يحمي العين من الإجهاد ويزيد من قدرة الأفراد على العطاء ويشجعهم على العمل (برواق آمال، 2012: 166). فقد أثبتت عدة دراسات أن استخدام النوافذ في الفصول والأقسام الدراسية يحسن في مستوى القراءة وزيادة في الفهم

والاستيعاب، وخلق التفاعل الصفّي بين أطراف العملية التعليمية التعلّمية ومن تم التحصيل الدراسي للمتعلمين.

4.3- الأثاث داخل القسم وتوزيعها:

إنّ التوزيع المدروس للزوايا التعليمية وللأثاث المدرسي داخل القسم التربوي يعمل على توفير الجو الملائم للمتمدرسين للعمل بهدوء ودون إزعاج أو اكتظاظ، لذا لابد من التصميم أن يكون بسيطاً. ويعد الأثاث ونوعيته وحالته واختياره وتوزيعه أمراً بالغ الأهمية حتى يوفر الراحة الفيزيائية والوظيفة الأدائية، دون نسيان الاهتمام باعتبارات جمالية.

ويختلف تموضع الأثاث حسب الأهداف والغايات التربوية قد يكون ترتيب الأثاث على شكل خطوط مستقيمة أو على شكل دائري أو نصف دائري (أنظر الصورة الثلاث التالية)

الصورة رقم 6:
العمل في مجموعات
(دوائر صغيرة)



الصورة رقم 5:
الشكل نصف دائري
(حرف U)



الصورة رقم 4:
ترتيب الأثاث على شكل
خطوط مستقيمة



إن النظام الشائع في الأقسام التعليمية بمدارسنا ارتبط بتوزيع الصفوف على شكل خطوط مستقيمة (الصورة 4) نظراً للعدد الكبير من التلاميذ داخل القسم.

أما ترتيب القسم بطريقة نصف دائرية أو نصف مربعة (حرف U) يقابل فيه التلاميذ بعضهم البعض (الصورة 5) تعدّ الأحسن في عملية التفاعل الصفّي، تخلق استمرارية في النشاط وقوة التركيز لاكتساب المهارات الضرورية، تضع التلاميذ في مواقف واقعية، وتعطي للمعلم فرصاً متعددة وأدوات متنوعة لملازمة التلاميذ وتقويمهم. تكون القابلية على الاستماع والمشاركة أكبر.

ويعد توزيع التلاميذ على شكل دوائر أو حلقات صغيرة (الصورة 6) من أهم استراتيجيات التدريس التي تخلق الحماس والعمل في المجموعات وترفع قدرة التلاميذ على التكيف مع

الظروف وخلق تلميذ مبدع قادر على حل المشكلات، تتكون كل مجموعة من خمسة إلى سبعة تلاميذ، يتناقشون مع بعضهم البعض نقاط ضمن موضوع الدرس للتعليم فعال. هذه العملية تتيح المجال للاتصال المباشر فيما بين التلاميذ.

ومنه، يعبر الشكل الفيزيائي الظاهر ويرمز إلى أبعاد غير فيزيائية ذات محتوى رمزي وظيفي؛ حيث تقول إحدى المعلمات (أستاذة السنة الرابعة ابتدائي):

"من الضروري الاهتمام بترتيب جلوس التلاميذ، كأن يوضع قصار القامة وضعاف البصر والسمع في الصفوف الأولى، وتوزيع التلاميذ النجباء على كامل الصفوف وليس وضعهم في مكان واحد حتى نعطي فاعلية أكثر وتفاعل أكبر" ويضيف أستاذ آخر (أستاذ السنة الثانية ابتدائي):

"في ترتيب القسم لا بد وأن يؤخذ بعين الاعتبار سهولة حركة المعلم والتلاميذ فلا يكون مكتظاً أو ضيقاً"

ويقول أستاذ السنة الثالثة ابتدائي:

"يجب أن يسمع كل التلاميذ ما يقال ويروا ما يحدث حتى يمكنهم أن يتفاعلوا مع الدرس ومع معلمهم"

وتصرح أستاذة السنة الأولى ابتدائي:

"أراعي في تنظيم القسم وفي ترتيبه أن يكون مريحاً للتلاميذ باعتبار أنهم يقضون فيه وقتاً أكبر لهذا من الضروري عدم اشغالهم بالملل"

وتضيف أستاذة السنة الثانية ابتدائي:

"لا بد أستغل كل ركن من القسم دون ازدحامها بما يساعد التلميذ على التعلم وخلق نوع من الراحة النفسية له"

تضيف أستاذة السنة الخامسة ابتدائي:

"التنظيم مهم جداً فالقسم إذا كان فوضوي لن يسمح بخلق التواصل الاجتماعي"

من خلال تصريحات المبحوثين يتضح جلياً أهمية تنظيم القسم بما يتناسب وخصائص التلاميذ والأهداف التعليمية، وهنا يشير كل من قطامي يوسف ونايفة في دراستهما (قطامي يوسف وقطامي نايفة، 2002) إلى أن العشوائية تترك النظام الصفّي وتجعله متأرجحاً بين النظام والانظام ما يؤدي إلى مشكلات تربوية. تبين أهمية إعداد وتنظيم القسم لضبط السلوكات والممارسات الصفية، إذ أن الطريقة التي ينظم فيها المعلم قسمه، تعمل على تغيير سلوك التلاميذ. وتوصلت ونيسستن (Weinstein, C., 1999 : 577) إلى أن سلوك التلاميذ ومواقفهم تتأثر بمتغيرات محيط القسم وتنظيمه كطريقة ترتيب المقاعد وازدحامها. وقد أدخلت تعديلات على القسم

المدرسي ولاحظت تغييرات في ممارسات التلاميذ: ارتفاع التفاعل مع المواد الدراسية، وقللت من فرص المقاطعة في الكلام، وزادت نسبة التساؤلات المهمة. وتقرّح غويرنزي في هذا الإطار (Guernsey, M., 1989) أن يكون ترتيب المقاعد بطريقة تقلل احتكاك التلاميذ بالخزائن والرفوف؛ وأن تكون بعيدة قدر الإمكان عن الأبواب والنوافذ. هذا من شأنه أن يقلل من المشتتات الجانبية الخارجية الممكنة، وبالتالي يساعد التلاميذ على التركيز في مهماتهم التعليمية بشكل أفضل. كما أنه من الأحسن ترتيب أماكن الوسائل التعليمية وأدوات القرطاسية، حسب نسبة وطريقة استعمالها من قبل المعلم أو التلاميذ. فالأدوات والوسائل التي يستعملها المعلم بكثرة، يجب وضعها قريبة من متناول اليد؛ بينما يتم إبعاد الوسائل غير المهمة أو قليلة الاستخدام عن متناول التلاميذ، حتى تمنعهم من الاحتكاك.

- أهمية الصور والأشكال والرسومات المعلقة والهرئية

تعد كل من الصور والأشكال والرسومات وسائل تعليمية أساسية؛ حيث تسمح بتسهيل التواصل والتفاعل التربوي بين المعلم والمتعلم كما تساعد المدرس على توصيل الخبرات الجديدة إلى تلاميذه بطريقة أكثر فاعلية وأبقى أثراً، وتختلف هذه الوسائل باختلاف المواقف التعليمية التعليمية (أنظر الصور التالية)

الصورة رقم 8:

رسومات موضوعة على مدخل القسم
لتعليم أشهر السنة



الصورة رقم 7:

رسومات موضوعة تحت السبورة
لتعليم الأرقام



الصورة رقم 10

الصورة رقم 9

معلومات متنوعة على جدران القسم المدرسي



إنّ تكرار وجود العنصر المتمثل في المعلومات أو الصور أو الخرائط... يعمل على إدراكه بصريا بشكل أفضل، وبالتالي حفظها في الذاكرة واسترجاعها وقت الحاجة من طرف التلاميذ؛ حيث يشير جميع أفراد العينة إلى هذه الأهمية، ومن التصريحات نذكر ما يلي:

يقول أستاذ السنة الخامسة ابتدائي:

"تنوع المعلومات في القسم وتعليقها بشكل منظم يسمح بتنمية القدرات التعليمية للتلاميذ ويزيد من إدراكه للمادة التعليمية"

أستاذة السنة الثانية ابتدائي:

"يستخدم الأستاذ أفضل الأساليب لتوصيل المعلومات وتثبيتها من خلال ما يعلقه وهذا يتناسب مع المرحلة العمرية للتلميذ"

أستاذة السنة الأولى ابتدائي:

"توزيع الأثاث والتجهيزات والمواد والوسائل التعليمية بها يتناسب والخبرات التعليمية"

لكن تعليق هذه المعلومات على جدران القسم تخضع لمبدأ الجمالية بالإضافة إلى وظيفتها التعليمية، فلا بد أن تكون منظمة جذابة لا تعمل على تشتيت الرؤية البصرية، يراعى في إعدادها اختيار الألوان وتناسقها.

إذن يعتبر اختيار الألوان مهم أيضا، ولكل منها دلالات معينة، فاللون من العناصر البصرية الهامة لما يحمله من طاقة مؤثرة في الإدراك الحسي والعقلي للفرد؛ حيث تقول إحدى الاستاذات (مدرسة السنة الثالثة ابتدائي):

"اللون الأزرق يساعد على تهدئة الأعصاب، يستحسن استخدام الألوان الدافئة في الطلاب لأنها تجعل التلاميذ يقظين ونشطين وأكثر تركيزاً"

ويضيف أستاذ السنة الرابعة ابتدائي:

"الألوان لا بد وأن تتوافق مع أعمار التلاميذ وتساهم في زيادة الإضاءة"

الخاتمة:

يعد توزيع الفضاء وتنظيمه من الوسائل المرئية لتحقيق التواصل والتفاعل الصفي، وهذا ما يعبر عن علاقة بين الشكل والسلوك، فالشكل هو التكوين الهندسي الذي يظهر لنا المحتوى والذي يعتمد عليه ويكمن فيه، فكل منهما يؤثر في الآخر، ومنه يظهر الاهتمام بالتصميم الداخلي للأقسام كضرورة لترجمة تطلعات وأهداف المجتمع التربوية. فترتبط تفاصيل القسم وما يتضمنه من عناصر بنظرة الفاعلين لواقعهم ولعملية انتمائهم الاجتماعي وعالمهم الثقافي. فتنظيم الفضاء ليس عفوي أو اعتباطي؛ إذ أن كل ركن في القسم يعبر عن اتجاهات ومواقف معينة.

ولا يمكن أن تقوم العملية التعليمية بشكلها الصحيح دون الاهتمام والعناية بالمكان الذي ستم فيه هذه العملية من جميع الجوانب؛ إذ أن نوعية القسم وحجمه وحالته واتساعه وضيقه ومدى توفره على التجهيزات والوسائل الضرورية يؤثر بشكل كبير على التفاعل والتواصل الصفي بين أطراف العملية التعليمية ومكونات وعناصر القسم.

فبقدر ما يؤثر الإطار المادي الفيزيقي على سلوك وتصرفات الفاعلين الاجتماعيين يؤثر الأفراد والجماعات بدورهم على محيطهم فيشكلونه ويطوعونه ويخضعونه لرغباتهم ومتطلباتهم، ففي داخل فضاء القسم يتعلم الأطفال وتترعرع الصداقات وتنمو العلاقات وتزدهر التبادلات والتفاعلات الاجتماعية وتثور أيضا الخلافات والصراعات والضغائن وينمو الشعور بالانتماء والاندماج.

وفي كل الأحوال لا يمكن اعتبار القسم فضاء جغرافي جامد، ولكنه في الواقع مجال حيوي يحدد الكثير من الإشباع، فضلا على أنه نظام ثقافي واجتماعي قائم على مجموعة العلامات والدلالات، ويقوم بمجموعة من الوظائف.

إن القسم كفضاء لا يتحدد نوعه من خلال كيانه المادي ووظيفته المنوطة به، بل أيضا من خلال الإحساس والشعور والانطباع لمستعمليه تجاهه. وقد أصبح القسم يعني للتلاميذ على أنه غرفة مغلقة وضيقة ومملة يتضمن مقاعد غير مريحة وألوان طلاء مزعجة في غالبيتها، مع غياب وسائل تحفيزية تشد انتباه وتركيز الطفل وتشعره بالانتماء للفضاء المدرسي.

قائمة المراجع:

- بروق آمال، (2012). سيميولوجيا الفضاء ودلالة التمثيلات المعمارية دراسة تحليلية سيميولوجية لحى العربي بن مهيدي -قسنطينة، رسالة الماجستير في علوم الاعلام والاتصال تخصص: سيميولوجيا الاتصال، جامعة الجزائر3، الجزائر.
- هني خير الدين، (2005). مقارنة التدريس بالكفاءات، ط1، الجزائر: مطبعة عين بنيان.
- قطامي يوسف وقطامي نايفة، (2002). إدارة الصفوف: الأسس السيكولوجية، الأردن: دار الفكر.
- مایسة عثمان خضر، (2020). "التصميم التعليمي الأمثل للفصل الدراسي.. دراسة تحليلية"، المجلة العربية للنشر العلمي، العدد 16، من الموقع الالكتروني: <https://www.ajsp.net/> (ص ص 340-353).
- BONTE P.- IZARD M., (1991), **Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie**, Paris : Puf.
- Guernsey, M., (1989), « Classroom organization: A key to successful management » . **Intervention in School and Clinic**, Volume 25 Issue 1, <https://doi.org/10.1177/105345128902500107>
- HADJIDJ. D, (2002). «Urbanification et appropriation de l'espace Le cas de la ville d'ORAN ». **Insaniyat**, CRASC Oran, N° 16, P P 237-243.
- LEFEBVRE H., (2000), **La production de l'espace**, 4^e Ed, Paris : Anthopos.
- MARC E.- PICARD D., (1989), **L'interaction sociale**, Paris : Puf.
- MOLES A.- ROHMER E., (1998), **Psychosociologie de l'espace**, Paris : L'Harmattan.
- MUCCHIELLI Roger, (1980), **Communication et réseaux de communication**, Paris : Ed – ESF.
- Smith M., & class, H., (2000), « Meta–Analysis of research of class size and its relationship to attitude and instruction », **American Educational Research Journal**, <http://dx.doi.org/10.3102/00028312017004419>.
- TORTEL, L., (1999), **Une autre lecture de l'espace public : Les apports de la phycologie de l'espace**, Lyon : Editions du CERTU.
- Weinstein, C., (1999), « The physical environment of the school », **Review of Educational Research**, Volume 49, Issue 4, <https://doi.org/10.3102/00346543049004577>